

ميلياغروس شاعر سوري أثر في أثينا والغرب

شاعر تعاطف مع الكليبيين وكرس حياته للقصائد والجمال

لطالما كان المتوسط، واسطة العقد، ولبّ الكتاب، أينما مضيت في العالم، ومهما ابتعدت في الأرض ستجد في الطعام واللباس والعمارة واللغة. وتجده في الأغنية والرخصة وموسيقى المعبد. وكذلك في الخرائط والألوان. وتجده مقبلاً عليك حينما ولبت وجهك جهة الغرب، فأسماءه وكتبته وأبطاله القدامى تجدهم في كل جهة من جهات الأرض أمثلة وأقنعة وحكايات للأطفال وأشعاراً وأساطير. حتى لكأن الغرب لا يمكنه أن يتعرف وجوده إلا في مرآة الشرق. وهذا ما دفع مجلة الجديد إلى تخصيص عددها الأخير لعام 2020 للثقافة المتوسطية ورموزها.

لندن - خصصت مجلة الجديد الثقافية اللندنية في عدد ديسمبر ملفاً كاملاً عن الثقافة المتوسطية، مقدمة فيه، مقالات ودراسات وقصائد مترجمة تضيء مجتمعة على علاقة الثقافة العربية بالثقافة اليونانية، لإسما في الحقبة الهلنستية التي كان للسوريين القدامى فيها الدور الطليعي المؤسس على مدار ثلاثة قرون متعاقبة منذ أن انتصر الإسكندر الأكبر على الفرس في سنة 332 قبل الميلاد، وحتى حلول الإمبراطورية الرومانية محل الإمبراطورية اليونانية سنة 30 ميلادية.

وضمن هذا الملف نجد ثلاثة مقالات عن الشاعر السوري ميلياغروس الذي عاش خلال الحقبة الهلنستية وترك تأثيراً بالغاً في الثقافة اليونانية، والذي يجهله إلى اليوم الكثير من العرب.

شاعر الحب الكوني

يرى الكاتب والباحث السوري تيسير خلف أنه لا شك في أن طبيعة جدارا، تلك الكورة الصغيرة المتوزعة على ضفتي وادي البرموك، الشمالية والجنوبية، التي صاغت ذائقة الشاعر ميلياغروس، من كان طفلاً، يجوس الوديان والهضاب المحيطة بمدينته، يعايب الفراشات، ويراقب القطعان المنتشرة على السفوح؛ وهي تلتهم العشب، على نغمات شبابة الراعي.

وربما، قضى أوقاتاً طويلة وهو يعد أنواع الأناجير البرية المنتشرة على سد البصر، أو يراقب، من مدرج مدينته، بحيرة طبريا، وأشعة مراكب الصيادين التي تنهدى على صفحة مياهها، وفي الأفق جبل الشيخ المكمل بالثلوج طوال العام.

ميلياغروس هو الشخصية الهلنستية الأدبية الأكثر تنوعاً ورشاقة في التعبير عن فنه بأدوات أدبية مختلفة ومتجددة

ولا بد أنه زار البناييع الحارة في الحقبة، واستحجم بياهاها الدافئة مع معلميه ورفاقه في الأكاديمية، حين كان فتى يافعاً، وهناك حدثهم المعلم عن عجائب إسكولابوس في شفاء المصابين بالعلل المزمنة.

ولفت خلف إلى أن هذه الصور التي لا تزال حقيقة نابضة، في أم قيس الأردنية، والعملة السورية، سوف مدينتها مرسومة بعناية في قصيدته الخالدة "الربيع"، لمهمة الكثيرين بعده، من شعراء وفنانيين تشكيليين حاولوا مقارنة تلك الروح النابضة الوثابة التي أبدعت وصفاً غير مسبوق لقدم فصل الحب والحياة والجمال.

مشدداً على أن سوريا كوطن لم تكن غائبة عن قصائد الشاعر الذي حطت عصا الترحال به في جزيرة كوس اليونانية، ليس كذاكرة تخيلية فحسب، بل كوعي حضاري ومضمون إنساني أيضاً يحفظ كلمة سر سحرية تقال في المناسبات كافة، في قمة الاحتفال، وفي لوعة الحزن والفقد، في لقاء القريب، وتحية الغريب، وفي الوداع، إنها كلمة سلام، التي أودعها شاعرنا كما هي، بلطفها المحب، في قصيدة عظيمة من قصائد هذا الكتاب.

ويذكر خلف أن ميلياغروس عاش حياته للشعر والحب ولتأمل الجمال وابتكار الصور الغريبة التي يالفاها شعراء زمانه، ولم يسع طوال حياته إلا إلى كسب قلب امرأة أعرج بها، أو اقتناص صورة جميلة، أو اختزال مشاعره بضع كلمات حول صديق غاب إلى الأبد. وحتى حين كانت تغادره إحدى النساء اللواتي أحبهن، إلى رجل آخر، تجده يتمنى لها السعادة مع عاشقها الجديد، فقلبه لا يقوى على الغل والكراهة، فحتى عباراته التي توحى بالحدق والانتقام، تخرج

وأخيراً، يذكر خلف أنه لم يكن لهذه السلسلة، "سوريا الهلنستية"، إلا أن تزيّن إكليلها بقصائد هذا الشاعر العبقري الذي لا نكاد نعرف عنه، نحن قراء العربية والمتحدثون بها، إلا النزر اليسير اليسير، ولذلك احتل هذه الأولوية المتقدمة في مشروع ترجمات السوريين الذين كتبوا باليونانية، خلال تلك الحقبة الغنية من التفاعل الحضاري.

الشخصية الأكثر تنوعاً

على الرغم من أن ترجمة الشعر تفقده الكثير من خصائصه، إلا أن مضمون قصائد ميلياغروس ذا القيمة العالية، ساعد في احتفاظ قصائده بالكثير من القها حتى بعد نقلها إلى الإنجليزية والفرنسية، وأخيراً العربية على يد

الاستاذ عادل خالد الديري، الذي بذل جهداً بحثياً استثنائياً في المقارنة بين الترجمات المتعددة للوصول إلى روح النص، وقد وفق في ذلك أيما توفيق. يذكر الباحث عادل خالد الديري كتاب الشاعر السوري ميلياغروس الجداري "إن كنت سوريا: سلام"؛ والذي يبسو كالوردة الزرقاء في الإكليل الشعري الذي أبدعه السوريون خلال الحقبة الهلنستية الممتدة على ثمانية قرون، والسوريون هنا تشمل جميع سكان بلاد الشام في تلك الحقبة التي كانت فيها سوريا إقليمياً يسبح في فضاء حضاري غني، على امتداد شواطئ البحر الأبيض المتوسط.

ويضيف أنه "في سياق تحضيري للشروع في نقل ما تيسر لي من أعمال الشاعر ميلياغروس إلى اللغة العربية، انطلقت في بحث حثيث عن كل ما طبع ونشر عن الشاعر من أعمال، فجمعتها، ومن ثم قرأتها محاولاً استكناه أسلوب الشاعر وفرداته جملة الشعرية، واعترف بانني لم أصل إلى المعنى الكامن في معظم القصائد حين قرأتها في البداية، على الرغم من فهمي للكلمات المنصوصة، ولكن ومع المتابعة، بدأت شيئاً فشيئاً تتفتح معالم الأسلوب الذي اتبعه الرجل في توصيل صورته الشعرية، كما تتفتح بتلات الزهور".

ويتابع "فهمت أن الرغبة وإيروس (كيبويد)، كما أن الحب وأفروديت (فينوس) وسبيريس هن مترادفات متطابقة في مفهومه، تحل إحداها محل الأخرى بكل أريحية، بغض النظر عن كونها تختلف من زوايا معينة في ذهن الآخرين. وقد عمدت إلى اعتماد الاسم اليوناني للالهة التزاماً بثقافة الشاعر الهلنستية مع بعض الاستثناءات القليلة، وأدركت أن اختلاف عصر وخلفية المترجمين من اليونانية القديمة إلى الإنجليزية قد دفعت كلا منهم إلى اعتماد مفردة منها، مما صعب المهمة في البداية، وقد كانت عملية الترجمة هذه تراكمية وتصحيحية، فكما قرأت ترجمة مختلفة للقصيدة ذاتها تكون لدي فهم أصح



الحب والحياة والموت محور قصائد الشاعر

ولادته بأسلوب غير متكلف، وبالتالي غير مالوف في التقاليد الجنازبية. ففي خروجه هذا عن كلاسيكي نمط الإبيغراما التابينية، يصف الشاعر أصوله على أنها عابرة للحدود ومتعددة الثقافات، بدلاً من التركيز على الهوية الهلنستية لديه:

«وجه صور الفاتنة
وأرض جدارا الطاهرة
جعلت منه رجلاً،
شواطئ كوس
وكرام البيرويين
أكرموا شيخوخته».

وعليه، فإن ميلياغروس يؤكد هنا على انتمائه إلى مجموعة العظماء الشرقيين المغتربين عن مساطم رؤوسهم، والمستقرين في جزيرة كوس، وقد ذكر تلك المدن الثلاث: جدارا وصور وكوس، في إبيغرامين آخرين يركز في كل منهما على مرحلة محددة من عمره: فجداراً من مولده وطفولته في جدارا، والأخرى عن شبابه في صور وكهولته في كوس. كما أن خلفيته الثقافية المستقاة من هذه المدن تنعكس بوضوح على خاتمة الإبيغراما الأخير هذا، حيث يحيي بتحية الوداع التقليدية بالسورية واليونانية والفينيقية، كما ولو أنه يحرص على تبادل المباركة والمحبة مع المازن من قبره مهما كانت ثقافته أو انتماؤه.

إن الجو متعدد الثقافات هذا يمكن تفسيره من خلال فهمنا لمدى فخر ميلياغروس بهويته السورية من جهة، وتعاطفه مع تيار الفلاسفة الكليبيين في جدارا من جهة أخرى. وسواء أَمَا بان ميلياغروس كان متحدناً بالسورية (الآرامية) أو بالفينيقية بالإضافة إلى اليونانية، أو لم يؤمن بذلك، يبقى متوجساً علينا في كل الأحوال أن نفهم هذه الأبيات من المنظور الحرفي والشخصي أيضاً.

إن توجه ميلياغروس بالسلام مؤدعاً بالسورية والفينيقية واليونانية؛ هو تذكرة منه لنا بأسلوب شعري بأنه إنسان ذو اواصر ارتباط شخصية مع كل من جدارا وصور وكوس. والأكثر من ذلك، أن تعدد لغات شاهدة قبر ميلياغروس ليس فقط عائداً إلى الجو العولمي في جزيرة كوس، بل هو أيضاً مرتبط بتعدد لغات النقوش هناك بشكل عام. وإن معاينة النقوش على شواهد القبور السورية والفينيقية المنتشرة هناك تسلط الضوء على خلفية الدافع الذي حدا بميلياغروس إلى أن يتبع هذا الأسلوب.

ولكن، وعلى اعتبار أن الأبناط كانوا حاضرين في جزيرة كوس خلال الفترة التي قطنها بها ميلياغروس، فإن استعماله لكلمة "سلام" ضمن المعنى التوديعي، يذكر جمهوره بالطقس النبطي للتأبين، وكأنهم يودعون المتوفى ويفارقونه. المشهد هو استخدام هذه الصيغة النقشية النمطية في مخاطبة أي مازن.

قصائده والمسماة بـ"قصيدة الربيع" مستوحاة بالدرجة الأولى من طبيعة جدارا والجولان عموماً بسهولة وهضابه وربيعه الأخاذ والتنوع الحيوي الذي يسكن بيئته.

ويقتر الديري أنه لا يختلف اثنان في أن ميلياغروس هو الشخصية الهلنستية الأدبية الأكثر تنوعاً ورشاقة في التعبير عن فنه بأدوات أدبية مختلفة، وهو في ذلك يتفوق على مجموعة من العظماء والمبدعين غير العاديين.

أشعار شواهد القبور

في مقالها ترى الباحثة أم لوز أن الشاعر ميلياغروس لجأ في العديد من المناسبات إلى أسلوب كتابة الشواهد الأبيات على شواهد القبور لكي يصف سيرته المهنية، وكأنها محفورة على قبره بعد وفاته. وفي إحدى الإبيغرامات هذه لجأ إلى أسلوب تحية المازن بقرب قبره طلباً لرد التحية والوداع من الدنيا، ولكن بطريقة مبتكرة غير مسبقة، حيث يودع ميلياغروس المازن بقبره باليونانية ولكن ليست وحدها، بل أيضاً بلغتين ساميتين:

«إن كنت سوريا: سلام»
«إن كنت فينيقياً "تيدوس"
إن كنت إغريقيا "خايري"»
وعلى الرغم من أن هذا السلام قد يبدو من الوهولة الأولى كخروج مسرحي استعراضي، في عزاء تاييني للسذات، فإننا إذا تعمقنا في نماذج ميلياغروس الأدبية والتابينية، سنخرج برؤية أعمق وأوضح، تجعلنا نقدر هذه الصياغة أكثر، ونعجب بأصالتها ونقدر أسلوبها.

وتلفت الباحثة إلى أنه من المعتاد في تقاليد المازن ونقش الشواهد التوجه بالصيغة الخطابية للمازن بالقبور، ولكن القصيدة هنا هنا تمثل امتداداً أدبياً لتوجه معين، ونتيجة لتطور كاتبي شعر الإبيغراما السابقين لميلياغروس. فقد سبق وحدث أن استعملت الأعراف التابينية لتلحظ السيرة الذاتية للمتوفى، ويفترض أن ميلياغروس قد جاء تالياً هنا من هذه الناحية. فكانما هؤلاء الأدباء يتحدثون معنا عبر القبور التي نقش على شواهدهم إبيغراماً من هذا النوع، كما لو أنهم يلخصون بشكل خيالي قصة حياتهم لتقولها روحهم الهائمة في عالم الموتى.

وتقر أم لوز بان الفرق الهام يكمن في أن الإبيغراما هذه؛ كانت تصف حياتهم من خلال الحوارية التقليدية مع الغريب المازن من أمام القبر، في حين أن ميلياغروس قد وصف بالإضافة إلى الحوارية التقليدية، كلاً من المازن التي عاش فيها، وعمره الذي مضى، وذكر اسمه واسم وعائلته، وكان

لزاوية كانت مهمة في الإصدار السابق". ثم يقول "وفي البداية شرعت أترجم من كتاب الباحثين بيتر ويفهام وبيتر جاي للذين قاما بتقديم القصائد هذه في حلة شعرية إنجليزية منسرفة، كما أرفقا كل قصيدة بملحق يترجمها ترجمة حرفية من اليونانية. فعملت على فهم المعنى الحرفي للقصيدة اليونانية الأصلية، واستقيت الروح الشعرية الإيقاعية من الإصدار الإنجليزي حتى توصلت إلى ترجمتي العربية".

ويضيف "بعد الانتهاء من الترجمة والمراجعة قسمت بوضع عنوان لكل قصيدة يميز هويتها ويعبر عن روحيتها وفوحها، ممّا سهل عملية تقسيم القصائد إلى مجموعات وتفصيلها في فصول متباعدة من جهة الموضوع".

وفي هذه المناسبة لا بد من التنبه بكتاب الدكتور إسمان الهندي "شعراء سوريا في العصر الهلنستي" الذي نشر فيه تعريفاً مهماً بشاعرنا، وبنذات كثيرة من قصائده استقاهما من المصادر الفرنسية.

وذكر الديري أن ميلياغروس بن إبوقراطيس ولد حوالي العام 140 ق.م في جدارا، وهي مدينة تشرف من سفح جبل على بحيرة طبريا، ثم انتقل إلى مدينة صور الفينيقية على ساحل البحر المتوسط، حيث كبر وترعرع، لكنه أمضى شطراً كبيراً من حياته بعدها في جزيرة "كوس" اليونانية المقابلة لشواطئ آسيا الصغرى.

عاش شاعرنا عمراً مديداً، ويعد المؤرخون أنه قد ازدهر واشتهر في العصر السلوقي وما بعده، فمن المؤكد تاريخياً أنه كان معروفاً في عهد سلوقس السادس إبيفانيس نيقاطور والسدي حكم بين 95 ق.م و96 ق.م. وتوفي حوالي العام 70 ق.م. عن عمر ناهز الـ70 عاماً، ويمكننا تحري هذه السيرة ولمسها في قصائده الشعرية التي تحدث فيها عن حياته، فقد دون ثلاث سير ذاتية لنفسه بصيغة الإبيغراما، الأمر الذي استغربه الباحثون لكثرتهم، ويفترض أنه قد كتبها في مراحل زمنية متباعدة من حياته.

جدارا هلنستية الثقافة، سورية الهوية، وعلى الرغم من كونها غير محورية من الجانب السياسي فقد كانت بمثابة أثينا السورية كما يقول الشاعر. امتدت حضارتها إلى الحقبة المسيحية في المنطقة، وكانتم نوعاً لا ينضب من الشعراء والأدباء والفلاسفة والمجددين الخلاقين مثل ميلياغروس ومينيوس وفيلوديموس. ويبدو أن أهل ميلياغروس كانوا من ذوي اليسار، وهم سوريون يتحدثون أيضاً باليونانية.

وعلى الرغم من عدم كتابة ميلياغروس باللغة الآرامية، فإن أصوله السورية تبدو جلية في أسلوب تفكيره وتعاطفه مع الأمور، ولعل واسطة عقد

الذي بذل جهداً بحثياً استثنائياً في المقارنة بين الترجمات المتعددة للوصول إلى روح النص، وقد وفق في ذلك أيما توفيق. يذكر الباحث عادل خالد الديري كتاب الشاعر السوري ميلياغروس الجداري "إن كنت سوريا: سلام"؛ والذي يبسو كالوردة الزرقاء في الإكليل الشعري الذي أبدعه السوريون خلال الحقبة الهلنستية الممتدة على ثمانية قرون، والسوريون هنا تشمل جميع سكان بلاد الشام في تلك الحقبة التي كانت فيها سوريا إقليمياً يسبح في فضاء حضاري غني، على امتداد شواطئ البحر الأبيض المتوسط.

ويضيف أنه "في سياق تحضيري للشروع في نقل ما تيسر لي من أعمال الشاعر ميلياغروس إلى اللغة العربية، انطلقت في بحث حثيث عن كل ما طبع ونشر عن الشاعر من أعمال، فجمعتها، ومن ثم قرأتها محاولاً استكناه أسلوب الشاعر وفرداته جملة الشعرية، واعترف بانني لم أصل إلى المعنى الكامن في معظم القصائد حين قرأتها في البداية، على الرغم من فهمي للكلمات المنصوصة، ولكن ومع المتابعة، بدأت شيئاً فشيئاً تتفتح معالم الأسلوب الذي اتبعه الرجل في توصيل صورته الشعرية، كما تتفتح بتلات الزهور".

ويتابع "فهمت أن الرغبة وإيروس (كيبويد)، كما أن الحب وأفروديت (فينوس) وسبيريس هن مترادفات متطابقة في مفهومه، تحل إحداها محل الأخرى بكل أريحية، بغض النظر عن كونها تختلف من زوايا معينة في ذهن الآخرين. وقد عمدت إلى اعتماد الاسم اليوناني للالهة التزاماً بثقافة الشاعر الهلنستية مع بعض الاستثناءات القليلة، وأدركت أن اختلاف عصر وخلفية المترجمين من اليونانية القديمة إلى الإنجليزية قد دفعت كلا منهم إلى اعتماد مفردة منها، مما صعب المهمة في البداية، وقد كانت عملية الترجمة هذه تراكمية وتصحيحية، فكما قرأت ترجمة مختلفة للقصيدة ذاتها تكون لدي فهم أصح

وأخيراً، يذكر خلف أنه لم يكن لهذه السلسلة، "سوريا الهلنستية"، إلا أن تزيّن إكليلها بقصائد هذا الشاعر العبقري الذي لا نكاد نعرف عنه، نحن قراء العربية والمتحدثون بها، إلا النزر اليسير اليسير، ولذلك احتل هذه الأولوية المتقدمة في مشروع ترجمات السوريين الذين كتبوا باليونانية، خلال تلك الحقبة الغنية من التفاعل الحضاري.

ويذكر خلف أن ميلياغروس عاش حياته للشعر والحب ولتأمل الجمال وابتكار الصور الغريبة التي يالفاها شعراء زمانه، ولم يسع طوال حياته إلا إلى كسب قلب امرأة أعرج بها، أو اقتناص صورة جميلة، أو اختزال مشاعره بضع كلمات حول صديق غاب إلى الأبد. وحتى حين كانت تغادره إحدى النساء اللواتي أحبهن، إلى رجل آخر، تجده يتمنى لها السعادة مع عاشقها الجديد، فقلبه لا يقوى على الغل والكراهة، فحتى عباراته التي توحى بالحدق والانتقام، تخرج

وأخيراً، يذكر خلف أنه لم يكن لهذه السلسلة، "سوريا الهلنستية"، إلا أن تزيّن إكليلها بقصائد هذا الشاعر العبقري الذي لا نكاد نعرف عنه، نحن قراء العربية والمتحدثون بها، إلا النزر اليسير اليسير، ولذلك احتل هذه الأولوية المتقدمة في مشروع ترجمات السوريين الذين كتبوا باليونانية، خلال تلك الحقبة الغنية من التفاعل الحضاري.

ويذكر خلف أن ميلياغروس عاش حياته للشعر والحب ولتأمل الجمال وابتكار الصور الغريبة التي يالفاها شعراء زمانه، ولم يسع طوال حياته إلا إلى كسب قلب امرأة أعرج بها، أو اقتناص صورة جميلة، أو اختزال مشاعره بضع كلمات حول صديق غاب إلى الأبد. وحتى حين كانت تغادره إحدى النساء اللواتي أحبهن، إلى رجل آخر، تجده يتمنى لها السعادة مع عاشقها الجديد، فقلبه لا يقوى على الغل والكراهة، فحتى عباراته التي توحى بالحدق والانتقام، تخرج

ويذكر خلف أن ميلياغروس عاش حياته للشعر والحب ولتأمل الجمال وابتكار الصور الغريبة التي يالفاها شعراء زمانه، ولم يسع طوال حياته إلا إلى كسب قلب امرأة أعرج بها، أو اقتناص صورة جميلة، أو اختزال مشاعره بضع كلمات حول صديق غاب إلى الأبد. وحتى حين كانت تغادره إحدى النساء اللواتي أحبهن، إلى رجل آخر، تجده يتمنى لها السعادة مع عاشقها الجديد، فقلبه لا يقوى على الغل والكراهة، فحتى عباراته التي توحى بالحدق والانتقام، تخرج